

فصلية اللسان المبين (بحوث فى الأدب العربى)
(علمية محكمة)

السنة الرابعة، المسلسل الجديد، العدد العاشر، شتاء ١٣٩١، ص ٧٦-٩٦
صورة الشهيد فى شعر أحمد دحبور و معين بسيسو*

رقية رستم بور ملكى
استاذة مساعدة بجامعة الزهراء (س)
فاطمة شيرزاده
طالبة الدكتوراه بجامعة الزهراء (س)

الملخص

إن قضية الشهيد و الشهادة قضية قد عنى بها الأدب الفلسطينى خاصة الشعر الفلسطينى بعد نكبة ١٩٤٨ التى خاضها أبناء فلسطين فى غمرة النضال مع الصهيونية، و دخل الشعر الفلسطينى معركة المقاومة بعد هذه السنة كى يقف إلى جانب البطل المضحى بحياته و من ذلك القصائد التى ركزت على موضوع الشهيد.

فمثل هذه القصائد امتلأت صفحاتها بالكوارث التى حلت بشبابهم و ذكر أمجادهم و نيلهم درجة الاستشهاد فى هذا الطريق و إثبات هذا الأمر أن طريق الاستشهاد هو الطريق الوحيد الذى يوصل الأمة إلى النصر. و قد انعكس هذا فى الشعر الفلسطينى لأن الشعر له تأثير فاعل فى إيصال نداء الشهيد إلى شعبه و تحقيق النهضة و الحركة بينهم لأخذ الثأر و استمرار حركته .

يعدّ أحمد دحبور و معين بسيسو من الشعراء الفلسطينيين الذين اهتموا بقضية الشهيد و الشهادة فى قصائدهم إذ إن كثيراً من قصائدهما تشمل هذا الموضوع بكل أبعاده و جوانبه. يستهدف هذا البحث نظرة عامة إلى موضوع الشهيد فى قصائد الشعراء المذكورين و بيان الأسلوب الفنى فى هذه القصائد من اللغة الشعرية و الصورة و الموسيقى على أساس دواوينهما الشعرية بعد ١٩٤٨م حتى ٢٠٠٠م .

الكلمات الدليلية

الشهيد، أحمد دحبور، معين بسيسو، اللغة الشعرية، الصورة، الموسيقى

تاريخ القبول: ٢١/١٢/١٣٩١

* - تاريخ الوصول: ٢٠/٠٦/١٣٩١

عنوان بريد الكاتب الإلكتروني: rostampour2020@yahoo.com

المقدمة

أحمد دحبور شاعرٌ فلسطينيٌ ولد في حيفا عام ١٩٤٦ لكن عائلته اضطرت للفرار إلى لبنان عندما سقطت المدينة في أيدي القوات الصهيونية عام ١٩٤٨ و تأثر بالشخصيات المؤثرة كما يقول «أمي و الزير سالم و موريس قيق... الشخصيات الثلاث التي لولاها لما عرفت إذا كنت سأصل إلى الشعر، أو ما إذا كان وصولي سيكون على هذا النحو» (أبوشاور، ٢٠٠٣م، ٤٣٦) وشعره يعكس إحساساً فاجعاً بالحياة و هو يكتب شعراً مكرساً للتجربة الفلسطينية، فهو يمزج الموضوعات البطولية بإدراكه العميق للمخاطر و المحن التي آلمت بالتجربة الفلسطينية المعاصرة (الجيوسي، ١٩٩٧م، ٢١٦) صدر ديوانه الأول (الضواري و عيون الاطفال) عام ١٩٦٤ عندما كان في سن الثانية عشرة من عمره. (صدوق، ٢٠٠٠م، ٦٢) و صدرت منه حتى الآن ثماني مجموعات شعرية من ضمنها « حكاية الولد الفلسطيني (١٩٧١م)»، « طائر الوحيدات (١٩٧٣)»، « بغير هذا جئت (١٩٧٧م)»، « اختلاط الليل و النهار (١٩٧٩م)»، « واحد و عشرون بحراً (١٩٨٠م)»، «شهادة بالأصابع الخمس (١٩٨٢م)» و «هكذا (١٩٩٠م)» (الجيوسي، ١٩٩٧م، ٦٢).

و معين بسيسو واحد من الشعراء و كتاب المقالة الفاعلين في الحركة الوطنية الفلسطينية ولد عام ١٩٣٠ أو عام ١٩٢٦ في غزة، التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة و كان يدرس هناك عندما وقعت كارثة ١٩٤٨ و قد عاش بعد ذلك مدة من الزمن في غزة و لكنه اضطرت إلى تركها و الهجرة إلى بعض البلدان العربية بسبب انتمائه إلى الماركسية. كان بسيسو ناشطاً سياسياً في جميع الأماكن التي عاش فيها مما عرضته مراراً للنفي و السجن. و خلال السنوات الأخيرة قبل وفاته عمل في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت (المصدر نفسه، ١٥٢) بدأ بنظم الشعر مع بداية النكبة الأولى عام ١٩٤٨م و من مؤلفاته: «ديوان المعركة (١٩٥١م)»، « ديوان فلسطين في القلب (١٩٦٥م)». (صدوق، ٢٠٠٠م، ٢٢٩)، « الأشجار تموت واقفة (١٩٦٦م)» و «الآن خذي جسدي كيساً من رمل (١٩٧٦م)» (الجيوسي، ١٩٩٧م، ١٥٢).

أهمية البحث و الهدف منه

تأتى أهمية البحث من أنه يبحث في موضوع الشهيد كبطل يتحول دمه إلى طاقة تدخل في جسد الأمة و تدفعه نحو مكافحة الظلم و الاستعباد و بما أن دحبور و بسيسو قد عاشا معظم حياتهم كمنفيين خارجاً عن فلسطين فيبدو أن احتلال وطنهما و الحياة في المنفى قد أثر بشكل مباشر على قصائدهما حيث إن المضامين الشعرية عندهما كمعظم الشعراء الفلسطينيين محفوفة بالمفردات الناتجة عن هذه القضية.

أما الهدف من البحث فدراسة موضوع الشهيد شكلاً و مضموناً في قصائد هذين الشاعرين و موضعهما في هذا المجال؛ ذلك أن الشاعرين المذكورين قد وظّفا الموضوعات البطولية مركزين على الشهيد و الشهداء قادرين على تحريك مشاعر معاصريه باستخدام الألفاظ الدالة على معاني المقاومة في إطار الصور القيمة أدبياً .

منهج البحث

يقوم البحث على المنهج الوصفي لإيضاح مفهوم الشهيد و إمعان النظر في الشعر الفلسطيني المعاصر مستهدياً بالرؤية التحليلية في قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو شكلاً و مضموناً للوصول إلى الرؤية التي تبين موقف الشاعرين المذكورين من الشهيد و الشهادة.

خليفة البحث

و من الدراسات المسبقة في الموضوع كتاب « الشهيد و الشهادة في الشعر العربي في صدر الإسلام و العصر الأموي » الذي قد كتبه عبد الرحمن علاوى الجبيلي و هذا الكتاب قد اهتم بالشهيد في الشعر مرتكزاً على صدر الإسلام و العصر الأموي دون أن يعالج قصائد الشعراء المعاصرين .

و كتاب « اندفاع نحو الشهادة » لمحمد على آذرشب، و هذا الكتاب قد درس موضوع الشهيد و الشهادة دراسة نظرية دون تطبيق على الأدب .

و من المقالات « الشعر الفلسطيني و اللاجئون » لأحمد دحبور في مجلة « رؤية » و هي نظرة عامة على الشعر الفلسطيني دون أن يدرس موضوع الشهيد دراسة تطبيقية .

هذه دراسات قد أفادت البحث و لكن لم تركز على الشهيد في قصائد دحبور و بسيسو بشكل خاص.

أولاً : مفهوم الشهيد و الاستشهاد

تحمل مادة الشهيد في المعاجم العربية دلالات متعددة و كثيرة منها :

(١) الحضور: كما ورد في القرآن الكريم : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (البقره/ ١٨٥)
أى (من كان حاضراً غير غائب في سفره) (الأزهرى، د.ت، ٧٧/٦).

(٢) الخبير القاطع أو القسم على الشيء : « و استشهدوا شهيدين من رجالكم » (البقره/ ٢٨٢)
أى (أشهدوا شاهدين) (الفيروزآبادى، د.ت، ٣١٦ / ١).

(٣) محضر الناس : « و شاهد و مشهود » (البروج/ ٣) فالشاهد هو النبى و المشهود هو يوم القيامة (المصدر نفسه، ٣١٧/١).

(٤) النبوة : « و نزعنا من كل أمة شهيداً » (القصص/ ٧٥) أى (اخترنا منها نبياً و كل نبى شهيد أمته) (المصدر نفسه، ٣١٧/١).

و الشهيد فى المصطلح الإسلامى بمعنى الذى يقتل فى سبيل الله تعالى كما ورد فى التنزيل العزيز : « و لاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » (آل عمران / ١٦٩) فهذه الآية الكريمة نزلت فى حق شهداء أحد الذين قتلوا بيد الكافرين المشركين .

و أما لتسمية الشهيد بهذه التسمية أسباب متعددة و منها :

- ١) الشهيد هو الحى عند ربه و على أساس الآية المذكورة (آل عمران / ١٦٩) كأن أرواحهم أحضرت دارالسلام و هم أحياء، و أرواح غيرهم أُخرت إلى يوم البعث.
- ٢) سُمى الشهيد شهيداً لأن الله و ملائكته شهدوا له بالجنة (انظر : الجبيلى، ٢٠٠٥م: ١٢-١١).

إذن دور الشهيد دور هامّ فى المجتمع و مصيره، إذ إن التاريخ يحدثنا أن الأمم تلجأ غالباً إلى السكوت و الابتعاد عما يثير غضب الطاغوت و تعلق طوق الذلة و المسكنة على رقابها و تتحول إلى جسد ميت لا حراك فيه، و مثل هذا المجتمع لا يستطيع أن يتحرك إلا أن يمزق طوق الذل المفروض عليه و لا يمكن هذا إلا بحقن دم ساخن متدفق فى جسده و لا يمكن أن يثير الثورة إلا أن يضحى بكل ما لديه للوقوف أمام هذا الانحراف فى المجتمع، و يقدم أعز ما لديه. يقدم دمه و روحه و هذا ما يفعله الشهيد فالشهادة اذن عملية إحياء الأمة و إنقاذها من الاستكبار و الاستعمار (انظر: آذرشب، لات: ١٤).

للسهيد منطق قد عجزت التحليلات الفلسفية و العلمية و العقلية أن تعبر عنها و لا تستطيع أن تخلق انساناً مجاهداً يندفع نحو الاستشهاد لأنه إنسان قد تحررت روحه من قيود الشهوات النفسانية و وصل إلى حد نستطيع القول بأنه منطق مزيج من منطق المصلح و منطق العاشق؛ منطق المصلح الذى يخفق قلبه ألماً لمجتمعه، و منطق العارف العاشق للقاء ربه. بتعبير آخر منطق الشهيد منطق الاشتعال و الإضاءة ، منطق الانصهار و الانحلال فى جسم المجتمع لبعث الحياة فى هذا الجسم، منطق تسجيل القيم الانسانية، منطق النظرة البعيدة . و من هنا كانت كلمة «الشهيد» مقدسة عظيمة؛ و لا نعطي حق الشهيد تماماً إن وصفناه أنه «مصلح» لأنه فوق المصلحين أو أنه «بطل» لأنه أعظم من الأبطال؛ لا يمكن وصف الشهيد إلا بأنه «شهيد» و ليس بمقدورنا أن نستعمل كلمة أخرى (انظر: المصدر نفسه: ١٥).

الشهيد و الشهادة فى الشعر الفلسطينى المعاصر

حينما نتأمل فى أشعار الشعراء الفلسطينيين بعد نكبة ١٩٤٨ ندرك هذه الحقيقة أن الظروف السائدة على فلسطين و الصعوبات التى قد فرضت على أهلها من قبل اسرائيل قد تجلت فى أدبهم أيضاً و الأدب الفلسطينى مرآة صافية تعكس حالة الشعب الفلسطينى فى هذه الفترة (انظر: مصطفى، ١٩٨٦م: ٣٧)، إذن يمكننا القول إن الشعر الفلسطينى

المعاصرة ظاهرة قد تجلّت فيها نقطتان رئيستان يجب النظر فيهما و هما : دلالة القصائد المعنوية و جمالية القصائد (أنظر: الجبوسى، ١٩٩٧م: ٧٦). أما النقطة الأولى فدراسة نكبة ١٩٤٨ و الظروف الناتجة عنها فى القصائد و ظهور موضوع المقاومة « الذى كان واحداً من المواضيع المهمّة فى الشعر الفلسطينى فى الخمسينات و غدا هو الموضوع الرئيس فى السبعينات» (المصدر نفسه: ٧٧) و المفاهيم التى تتعلق بهذا الموضوع خاصة موضوع الشهادة و الشهيد فى أثناء دواوين الشعراء الفلسطينيين الذين عاشوا مأساة وطنهم و شهدوا عن قرب معاناة شعبهم و تضحية أبنائهم فى سبيل هذا الوطن. و منهم أحمد دحبور و معين بسيسو، فمثل مضمون الشهيد و الشهادة يأتى فى مقدمة مضامينهم الشعرية إذ لا يمكن الفصل بين معاناة الشعب الفلسطينى و قضية الشهادة. إذن ولد موضوع الشهادة منذ ولادة النكبة الفلسطينية عندما واجه الوطن الضياع (انظر: مصطفى، ١٩٨٦م: ٣٨) فلذا يعود ظهور موضوع المقاومة فى القصائد إلى « الاكتشاف المنعش فى النصف الثانى من عقد الستينات عن حركة قوية نامية من شعر المقاومة تعود إلى شعراء يعيشون داخل إسرائيل و قد ساعدت نبرتهم العالية المليئة بالتحدى و جلدتهم الصامد فى إعادة الروح لعالم عربى أحسّ بالعدر بعد هزيمة عام ١٩٤٧م» (الجبوسى، ١٩٩٧م: ٧٧) و تعزّز هذا الشعور فى أواخر الستينات مما أعاد الأمل و الثقة من جديد بعد فترة من التشكك و الرفض لمقومات المجتمع العربى و وجد الشعراء الفلسطينيون أنّ هذا الموضوع الذى عبّر عن ايمان راسخ، نتيجة النضال و ضرورىّ من أجل الحصول على الحقوق المغتصبة (أنظر: المصدر نفسه: ٧٨).

إذن الأدب الفلسطينى هو أدب قد امتلأت صفحاته بذكر مقاومة الأبطال و تضحياتهم و لا سيما فى الشعر الذى قدم صوراً من الشهادة و الشهداء؛ قصائد كهذه تدل على مدى العناية التى أولاها الشعراء لتمجيد الشهداء و تخليد مآثرهم، حتى كانت أمنية بعض الشعراء الحصول على الشهادة. (انظر: مصطفى، ١٩٨٦م: ٣٩).

و أما النقطة الثانية فمصدرها التحول الذى حدث فى الشعر العربى بأسره - بما فى ذلك الفلسطينى- فى مجال اللغة و الصورة بعد السبعينات و هكذا بدأت « فترة من الحرص الواعى على الناحية الجمالية اتصفت بدرجة عالية من التأنيق المتعمد» (الجبوسى، ١٩٩٧م: ٧٦).

و البحث عن موضوع الشهيد فى دواوين الشعراء يجرنا إلى أن هذا الموضوع قد عنى به منذ صدر الاسلام، و بعد حادثة كربلاء، أصبح التطرق إلى مكانة الشهيد و تأثيره على مسار التحولات فى المجتمع، من أبرز المضامين المتواجدة فى النصوص الأدبية و استمرت هذه حتى العصر الحديث، و أصبح جزءاً لا نستطيع فصله من الأدب الفلسطينى خاصة.

فالمجاهدين الفلسطينيين قد تأثروا بقضيه كربلاء و حركة عاشوراء في استمرار مقاومتهم بعد نكبة ١٩٤٨. وكنا نتوقع أن نجد الاهتمام بهذه القضية عند دحبور وبسيسو أكثر من هذا و لكننا وصلنا إلى نماذج قليلة خلال البحث حول الأشعار كما يقول أحمد دحبور: «تاجراً، و مقامراً و مقنعاً، كانوا دنانير النخيل / و دخلت في موتى وحيداً استحيل / وطناً فمذبحة فغربة /يا كربلاء، تفور في النار، أذكر كيف تنقلب الوجوه» (دحبور، ١٩٨٩: ٧٨)

وهذان الشاعران قد تناولا منهجين لعرض تصوير الشهيد :

المنهج الاول : التطرق إلى موضوع الشهادة كقيمة و التحدث عن الشهداء دون ذكر أسمائهم أو شرح وقائعهم مهما استلهم الشاعر فكره منها .
و المنهج الثاني : أن ينكب الشاعر على شهيد معروف و يتناول أعماله و تضحياته و أبعاد شخصيته و حياته .

و تبقى مثل هذه القصائد تصويراً خالداً من الجهاد في نفوس أبناء الشعب، و تبذل روح الحياة الخالدة اليهم، و تقدم قدوة مثالية للأجيال القادمة، و تحكى بدمائهم أن البقاء بالتضحية، و النصر بالإيثار (قميحة، ٢٠٠١م: ٧٥-٧٠) لكننا حاولنا استخراج المضامين التي تخص موضوع الشهيد و الشهادة ليس بالاعتماد على هذين المنهجين فحسب، بل ارتأينا أن نبحث عن الصور و المشاهد و الأفكار و المعاني في إطار الموضوع الرئيسي .
نظراً لتوظيف موضوع الشهيد في قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو توظيفاً حسناً تحاول هذه الدراسة أن تلقي ضوءاً عاماً على الشهيد في شعرهما إلا أن البحث لا يدعى أنه يعالج كل جوانب الموضوع و هذا الأمر يتطلب دراسات متعددة .
و فيما يلي دراسة الشهيد و الشهادة و مظاهره المختلفة في شعر أحمد دحبور و معين بسيسو .

الشهيد و الوطن

من أبرز المضامين التي تطرق إليها دحبور و بسيسو هو الاستشهاد في سبيل الوطن، لأن الأرض، جغرافياً و نفسياً قد أصبحت محور الصراع و هي من أهم القضايا التي أقلقنا الفلسطينيين، فإن ذلك يشكل جوهر «القضية الوطنية» في حياة الفلسطينيين (انظر: مصطفى، ١٩٨٦م، ٣٠٢)، و قد ثبت طوال التاريخ، أن الشعب إذا أراد الحصول على الحرية لا بد أن يدفع ثمناً قيماً و أن الانتصارات العظيمة لا تتحقق إلا بالمقاومة و الدم الأحمر، هذا هو الثمن القيم فالشهيد هو المجاهد الذي قد أشرف على أهمية هذه القضية و يعرف أن الاستشهاد هو المنهج الوحيد للهجوم المضاد على العدو، به يتم إحباط مؤامراته، و به يتم انقاذ الوطن من نير الاستعباد؛ كما يقول معين بسيسو في قصيدة «الأرض»: «تفاجئني الأرض / أن أكف

٨٢ / صورة الشهيد فى شعر أحمد دحبور و معين بسيسو

الصبايا /مرايا / و كف الشهيد ، بحجم السماء /تفاجئنى الأرض ... / و يرسم وجه فلسطيننا
المقبلة « (بسيسو، ١٩٨٧م:٤٦٤)

يشير معين بسيسو إلى أن أبناء الوطن يقاومون حتى إنقاذ الوطن من أظفار العدو و
سيخططون بأنفسهم مصيره لأنه وطنهم و وطن آبائهم و الشهيد له تأثير فاعل فى تحرير
الوطن و قد عبر عن أفكاره هذه بتعبير «كف الشهيد بحجم السماء» و هو أدقّ التعبير لبيّن
مكانة الشهيد فى سبيل الوطن .

و يتناول أحمد دحبور فى قصيدة «صفحة من كتاب الأغوار»الجهاد و الاستشهاد فى
سبيل الوطن: « لمجاهد /فرح ، فى الأمر مرهون ، و أحزان صغيرة / و مجاهد/ فرح النار
التي تكتشف الأرض الأسيرة (دحبور، ١٩٨٣م: ٢٣٩)

يؤكد الشاعر على أن المجاهد يجاهد لإطلاق سراح وطنه الذى أصبح أسيراً فى يد
الأعداء و يقول إن للمجاهد «فرحاً مرهوناً» بسبب أمله لاطلاق وطنه و أحزانه التي قد
صغرت بهذا الأمل و هذا الأمل يثير ناراً فى صدر المجاهد و يحركه لاكتشاف وطنه الأسير .
كما يعبر دحبور عن صمود وطنه بمعجزة الشهداء فى قصيدة «قصائد سفريّة» و يعتقد أن
الشهداء استطاعوا أن يحققوا الصمود و المقاومة فى الوطن و أبنائه و صمود المدينة يؤدى
إلى إجلاء الغزاة الصهاينة عن فلسطين: « إني أتابع معجزة الشهداء : / المدينة صامدة / و
الغزات اللغات لديهم و لا يدخلون ... » (المصدر نفسه:٥٥١)

و يعالج أحمد دحبور الشهيد و الوطن فى قصيدة «المعادلة» : «إني أصحح : لا تعلق
الارض فى شرك /يوم تصرخ كل حصة بكل شهيد: و رأى عدو فخذة ... (المصدر
نفسه:٤٢٠)

يقول الشاعر إن الأرض لا تسقط فى أيادى العدو لأن كل شبرٍ من هذه الأرض يصرخ
بكل قوة أنه استنفذ بدماء الشهداء وها هو يحميه و يذبّ عنه .

إذن حسب القصائد المذكورة فإنّ الشهيد بطلٌ يفدى نفسه و حياته لوطنه لكى لا يستطيع
العدو أن يحتلّه. و أحياناً يعتمد الشاعر على البيان غير المباشر فى توظيف مفهوم المجاهد و
الشهيد و أحياناً يأتي بنفس لفظة الشهيد.

خلود الشهيد و تأثير دمه على المجتمع

من المضامين الأخرى التي تطرق إليها دحبور و بسيسو هو خلود الشهيد و تأثيره على
وعى شعبه و استنهاض مجتمعه، لأنّ الشهيد هو الذى قد رفع علم الشهادة، و هو علمٌ يضمن
حرية الوطن و الانتصار ، فللمحافظة على هذا العلم مرتفعاً لا بد من وعى المجتمع و ذاك
لا يحقق إلّا بإراقة الدم فى عروق أبناء الوطن و يؤدى إلى إنهاضهم للثأر و إنقاذ وطنهم، إذ

يستدعى الشهيد من شعبه أن يخلدوه لان تخليد الشهيد رمز لمواصلة نهضة قد بدأها الشهيد و رمز لإيصال ثورة الشهيد إلى الأجيال القادمة و توحدهم معه .
و يلتقط أحمد دحبور تأثير الشهيد على الشعب فى قصيدة « عرس على الطريقة الفلسطينية » : « فأضاء ... فقالوا : نور / من يدري ، و النار . . . المطر الوابل / تندفق من كفيه ، و من رشاش الثارات الصاهل ... / قول الولد العاقل : «/ سيخلصنا المهدي بالسيف / نفذت كالسيف / فى القلب الأخضر / فأضاء . . . فقالوا : نور» (دحبور، ١٩٨٣م: ٢٠٦-٢٠٤)

و الشاعر قد شبه الشهيد بمصباح منير يضىء ما حوله و يشعّ ضياءه و لمعاته و شبّه أيضاً بمصدر ينبعث من كفيه النار و المطر، و كلاهما رمز للهداية و البركة. و هنا قد استخدم الشاعر هذه التشبيهات تأكيداً على تأثير دم الشهيد فى يقظة الأمة و وعيها ؛ ثم ينتهى بهذه اليقظة إلى ظهور امام العصر (عج) لانقاذ المظلومين من نير الأعداء فيعلن أمله بالمستقبل، ثم يؤكد على تأثير الشهيد، بتعبير آخر حينما يقول: «نفذت كالسيف، فى القلب الأخضر» يصرح على عمق التأثير فى القلوب الصافية و خلوده فيها و قد عبر عنها «بالأخضر» .

و يشير معين بسيسو فى قصيدته «يوميات ملقن مسرح» إلى هذا المضمون : « كان ممثلاً فى كل ليلة دور الشهيد / و كنتم فى كل ليلة تلقون فوق جرحه الأزهار / و تخرجون تصرخون / تطلبون رأس قاتله ... » (بسيسو، ١٩٨٧م: ٣٢٨)

يشير الشاعر إلى تطوع أبناء الوطن للاستشهاد و ردّ فعل الشعب أمام هذه الحركة ، فيثير دم الشهيد نفوس الشعب الفلسطينى و هم يكرمون شهداءهم فى كل الليالى بإلقاء الأزهار على جثثهم و إثر هذا ينهضون بالثورة لإتارة دم شهدائهم و هذا يدلّ على أن دم الشهداء ينعش الثورة فى فضاء المجتمع و يجرى دماء الجهاد فى عروق أبناء وطنه و هكذا يستمرّ طريق الاستشهاد الأحمر.

و يتناول معين بسيسو فى قصيدة «ارفعوا الأيدي عن أرض القناة» تأثير دم الشهيد على يقظة أبناء وطنه : « أنا أكتب من أجل القناة... / بنجوم الدم تزهو فى النهار / نجمة تومض من كل رصاصة / أطلقتها من يد التل الكبير / يد فلاح شهيد / لم تزل تنبض فى التل الكبير ... / نجمة من كل تأثر ... / نجمة من كل أبناء السلام ... / فردوا الروايات مثل الاجنحة / لن تمر الأسلحة ... / نجمة من قلب عمان المجاهد / أبو خالد... » (المصدر نفسه: ٨٠-٧٩)

يقصد الشاعر أن الشهيد يترك بين أبناء وطنه أثراً حماسياً إذ يثيرهم و بالتالى تظهر من كل قطرة دمه نجمة فى سماء الوطن تضىء طريق الآخريين و هذا يدل على استرشاد أبناء وطن الشهيد و تأسيهم به و فى النهاية كل هؤلاء الأبناء يعلنون رايةً قد رفعها الشهيد و هذا هو وعى المجتمع إثر استشهاد الشهيد .

و أحمد دحبور في قصيدة معنونة بـ «المعادلة» يقول : « و اعجبها ان جرح الشهيد يضىء لها قلبها . . . / فضيء الشهيد ، إلى القلب ، من كل جارحة يتغلغل » (دحبور، ١٩٨٣م:٦١٨)
و يتحدث الشاعر هنا عن فتاة ترمز للإنسان الفلسطيني و الهوية الفلسطينية. و هذه الفتاة قد تأثرت بدم الشهيد، و الدم النازف من جرحه يضىء قلبها. و هذا النور يشع في كل جانب و يتلألأ و يملأ نوره الاجواء و هذا بمعنى التأثير في المجتمع و تسخير قلوب أبناء الوطن .

توديع الشهيد لأهله

قد تأثر شعراء فلسطين خاصةً دحبور و بسيسو بحقيقة أخرى قد تحققت في هذه النكبة و انعكست في أشعارهم بتعابير شتى، وهي وداع الشهيد مع أهله عندما يروح إلى المعركة. و أحياناً يذهب إلى المعركة دون أن يودع أهله و بلا زوادة، و الأدب الفلسطيني مليء بهذه المشاهد التي تثير الأحاسيس و الحزن في المخاطب؛ الأم التي قد ربت ولدها بكل الامل ثم تدرك أهمية مصير الوطن فترسل ولدها الى ساحة القتال، أو راح دون وداع و الأم تبحث عنه. و مثل هذا المشهد ترك جرحاً عميقاً في نفوسهما. و بما أنّهما كانا يشاهدان هذه القضايا عن كنب و ربما كانا من أهالي هؤلاء الشهداء فتطرقا إليها و قاما بتصويرها؛ كما يصور أحمد دحبور «وداع الشهيد» في قصيدة «اجترأح معجزة يومية» : « لم يشغل التحرير بال الصائح المحرور لكن حرر التقرير عنى / قل وداعاً للسعيدة / قل وداعاً للبعيدة / قل وداعاً للطفولة و الرجال / و قل لابسط أمهاتك : إننى أضمرت فى / هذا الوداع . . . / إلى اللقاء » (دحبور، ١٩٨٣م:٧٦١)

يقرّر الشاعر أنّ الصائح المجاهد الذى قد تحرّر لابد أن يودع أسرته و الصغار و الكبار وداعاً بعيداً و يقول : إنه لا بد أن يودع أمه و لا ينبس بكلمة «إلى اللقاء» كأنه يخفى هذا العنوان فى وداعه لأنه لا يرجع و يلتقط الشاعر غاية الحزن فى هذه العبارة إذ يثير الأحاسيس لوداع المجاهد و عدم عودته .

وأيضاً يشرح وداع الشهيد فى قصيدة «عرس على الطريقة الفلسطينية» : « و دعنا صاحبنا كامل / هل قلت: بكينا؟ / استغفر برد مخيمنا لو قلت : بكينا / استغفر صبر الأعوام العشرين / استغفر جيشاً مهزوماً يلقي التبعات علينا / استغفر امى ... » (المصدر نفسه:٢٠٦).

هذا شرح وداع الشهيد حينما راح إلى القتال، فهو يدعوهم إلى الصمود و عدم فزعهم حينما يروح. و قد استخدم الشاعر هنا كلمة «استغفر» للتأكيد على عدم حزنهم و على أنهم كلهم مجاهدون فى سبيل الوطن و مدركون لهذه الكارثة التي حلت بهم. و يستدعى العفو عن هذه الأعوام التي مضت عليهم، ثم من الجيش المهزوم فى المعركة، و فى النهاية يستغفر أمه أن تصبح حزينة عندما يروح المجاهد الى ساحة القتال .

الأم و الشهيد

حينما نتصفح صفحات التاريخ ندرك أن المرأة هي التي تشكل أحد أركان المجتمع في كل الساحات السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وإن لم تكن حاضرة فهي محور تحريض الرجل لاسيما الأم التي تربي جيلاً في حضنها ولها تأثير فاعل في مصير المجتمع وهذا يتبلور في قضية الجهاد أكثر فأكثر؛ إذ مصير الشعب قد انضم تماماً إلى مصير الأرض وها هي الأم تحرك ابنها للمساهمة في ساحة المقاومة وتحرر شعباً من براثن الأسر. وهذا الأمر لا بد أن نهتم به وقد تجلى هذا في الشعر الفلسطيني و انتبه الشعراء إليه كما يقول احمد دحبور في قصيدة «الهادية»: « فبأى الوجوه نقابل أم الشهيد؟ ألا أستعير / غراباً ليأسى المؤقت يسأل: فيم تزغرد أم الشهيد؟ / انا أعلن الآن وقت البكاء / يا نساء فلسطين لا جرح ان بكيتن مر البكاء ... / وهاجمن هذى التوابيت / واكشفن عن زين اخواتنا الأغطية » (دحبور، ١٩٨٣م: ٢٢٩) يطرح الشاعر حجه عن أم الشهيد تساؤلاً « بأى وجوه نقابل أم الشهيد؟ » وهو يستغرب و يبين إعجابه من زغردة أم الشهيد في مراسيم دفن ابنها في حين قد حان وقت البكاء و عليها أن تبكى لولدها و هذا دليل على تأثير أم الشهيد البارز في تحفيز ولدها للدخول في ساحة المقاومة. ثم يخاطب النساء الأخريات قائلاً لا بأس ان تبكين بكاءً شديداً لأن هذا الوقت، وقت البكاء ثم يصف هجومهن و تسرعهن إلى تابوت الشهداء .

و أيضاً في قصيدة «فاطمة المغربية» يؤكد على تأثير أم الشهيد في تربية «الجيل الشهيد» : « والمرأة الحبلى - كما تدرين - قامت بالسلامة - / نسلها أيضاً شهيد ... » (المصدر نفسه: ٢٥٠)

و أيضاً معين بسيسو يتناول هذا الموضوع في قصيدة «دائرة الطباشير الفلسطينية»: « يا أم على ... / يا أم ثلاثة الشهداء / ماذا تفعل شجرة ورد حمراء ، / في زمن الجدران البيضاء ؟ / يا - أم على - / مازال على الحائط حجرٌ / تكتبه شجرة وردٍ حمراء. . . » (بسيسو، ١٩٨٧م: ٦٥٤-٦٥٣)

يخاطب الشاعر أمماً قد استشهد ثلاثة من أبنائها و يتحدث معها عنهم و عن تأثير دمهم الذي يفضى إلى غضب أبناء الشعب و يثير الثورة لأخذ النار من أعداء الوطن و يبذل الأمل و الرجاء في أم الشهيد مادام الوطن باقياً فهناك مجاهدون يدافعون عنه و لا يسمحون أن ينمحي دم الشهداء عن صفحة تاريخ الوطن، لأن الشهداء قد جاهدوا و بذلوا أرواحهم ليحفظوا روح المقاومة حياً في المجتمع، و علم الوطن مرتفعاً. و على الأجيال القادمة أن تجعل هذا النداء نصب أعينها .

استمرار حركة الاستشهاد

تاريخ الشعوب يدلنا على هذه الحقيقة أن الاستشهاد طريق لا يصل إلى مأزق، بل يستمر طوال نضال الحق و الباطل، و ليس دم الشهيد إلا دماً جارياً في عروق الشعب، يفضى إلى ثورة غاضبة تقام حتى تستأصل جذور الباطل. و نشاهد أن البلاد التي تجرى فيها هذه النهضة تنتصر. و تاريخ فلسطين ليس منفصلاً عن هذه الحقيقة. و قد احمرت صفحاته بدماء الشهداء الذين نهجوا طريق اتباع الأقدمين . و من النماذج الرائعة في هذا المضمون قصيدة «المعركة» لمعين بسيسو التي يقول فيها : «فإذا سقطنا يا رفيقي في حجيم المعركة / فانظر تجد علماً يرفرف فوق نار المعركة / مازال يحمل رفاقك يا رفيق المعركة » (بسيسو، ١٩٨٧م: ٥٢) فيصرح الشاعر فيها أن علم الشهيد لن يسقط على الأرض و سيهترّ طوال المعركة، لأن أبناء الوطن يواصلون نهضة الشهيد و هذا هو رمز خلود حركة الاستشهاد التي رفع الشهيد علمها .

كما يشير الشاعر قصيدة أخرى له إلى استمرار حركة الاستشهاد مصرحاً بمتابعة طريق الشهداء القدماء من قبل الشهداء الجدد : « يذهب للخنق / ضيف آخر بالبيت الشهداء / الشهداء الجدد ، على مائدة الشهداء القدماء . . . » (المصدر نفسه: ٦٣٣).

ثانياً: الأسلوب الفني

إنَّ الشعراء بعد السبعينات ركّزوا جهودهم على الجدّة و الطرافة في استخدام الصورة و اللغة الشعرية، بحيث لم تشهد أيّ مرحلة من مراحل الشعر العربي مثل هذه الرغبة في التغيير في الصور الشعرية (أنظر: الجبّوسي، ١٩٩٧م: ٧٨)، فالبحث يعالج الأسلوب الفني في قصائد دحبور و بسيسو في موضوع الشهيد مستقلاً عن مضامينها؛ خاصّة بعد أن وجدنا أن دحبور قد نشر بعض الدواوين بالموضوعات البطولية و عاد إلى الظهور بأصوات مختلفة خلال عقد الثمانينات و كتب « شعراً موزوناً لكنه أظهر ولعاً بالتجريب في الأشكال الشعرية الموزونة أكثر من أيّ شاعر آخر من شعراء جيله، و ربما أدّى التزامه الرسمي بخدمة الثورة الفلسطينية إلى كبت جزئي لأحاسيسه المرهفة. و لكنّه كبت جزئي و حسب، إذ إنَّ شعره ينبض بالإدراك العميق شبه الغريزي للمعنى الشامل الذي يكمن فيما هو مأساوي في الحياة الفلسطينية المعاصرة» (المصدر نفسه: ٨٤).

و مهما نجد أن قدرة بسيسو التصويرية في بعض النواحي من قصائده واضحة (أنظر: المصدر نفسه: ٩٩) و لكن لم نحصل على ميزات الحداثة في قصائده كما شاهدناها في قصائد دحبور. و من الميزات البارزة في قصائد بسيسو البساطة و نبرته المباشرة كما يقول عنه

بعض النقاد: « إن النثرية واضحة في أغلب القصائد التي تغلفها خطابية عالية الصوت... نلمس في بعض القصائد جنوحاً إلى البساطة » (مصطفى، ١٩٨٦م: ٩٩).

اللغة الشعرية

اللغة هي وسيلة نقل للمعلومات و الأفكار من شخص إلى آخر و لكل لفظ في اللغة المعجمية مدلول خاص؛ و اللغة في التعبير الشعري تختلف من عصر إلى عصر آخر بسبب اختلاف الظروف التي تخيم على كل عصر و قد تتميز ألفاظ اللغة لدى شعراء كل شعب عن شعب آخر و ذلك لتمييز الهموم و المشاكل عند الشعب (أنظر: أبوشاور، ٢٠٠٣: ٣٣٢).

و محنة الشعب الفلسطيني و المأساة التي حلت بهم ، قد فرضت لغة جديدة في عالم الشعر الفلسطيني حيث نستطيع أن نقول إن لغة الشعر الفلسطيني المعاصر تمتاز بخصائص معينة (أنظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م: ٣٣٢).

من أهم ميزات لغة الشعر الفلسطيني وجود الكثير من الألفاظ و المصطلحات التي وجدت نتيجة لوقوع كارثة سنة ١٩٤٨ كاللجوء و الرحيل و النفى و التشريد و الاغتراب و من الشواهد على ذلك قصيدة «ارفعوا الأيدي عن أرض القناة» لمعين بسيسو التي قد استخدم فيها كلمة «السلام» و «التائر» : « نجمة من كل تائر / نجمة من كل أبناء السلام / فردوا الرايات مثل الاجنحة / لن تمر الاسلحة (بسيسو، ١٩٨٧م: ٧٩)

و في ديوان الشعر الفلسطيني المعاصر نجد العديد من الأسماء الفلسطينية أمثال قادة الثورات و رموزها و أبطالها، و مثل هذه الظاهرة في تصوير الشهداء أى تصريح الشعراء بأسمائهم و تسجيلها، نلاحظها كثيراً في لغة الشعر الفلسطيني (انظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م: ٣٤٢) كما يرثى أحمد دحبور «الشهيد كامل حمود» و هو يسجل اسمه : « قالوا: سنسميه كامل / في اليوم الهارب من اغوار الصيف ... / و أتى كامل / حملوه على الراحات ، على أغصان الحزن الأخضر / فأضاء ... فقالوا : نور / من يدرى و النار . . . المطر الوابل / تتدفق من كفيه ، و من رشاش الثارات الصاهل ... » (دحبور، ١٩٨٣م: ٢٠٤)

و هناك رموز توحى إلى أبعاد جديدة و لها دلالتها المتميزة، حيث اتخذت الأشعار الفلسطينية بعداً شعرياً آخر بعد النكبة ، كألفاظ الأب و الأم و الأخ و الأخت و الفلسطيني و الفلسطينية و اللاجئ و اللاجئة و الأهل و الأحباب و الأصحاب و ما إلى ذلك من أسماء ترمز للإنسان الفلسطيني في كل مكان؛ كما يكرر معين بسيسو لفظ «الرفيق» في قصيدته «المعركة» نشير إلى بعض أبياتها : « فإذا سقطنا يا رفيقي في حجيم المعركة / فانظر تجد علماً يرفرف فوق نار المعركة / مازال يحمل رفاقك يا رفيق المعركة (بسيسو، ١٩٨٧م: ٥٢).

و قد يشير الشاعر إلى تلك الشخصية باستعمال «الضمير»، من ذلك قصيدة «اجتراح معجزة يومية» لأحمد دحبور : «لم يشغل التحرير بال الصائح المحرور لكن حرر التقرير

٨٨ / صورة الشهيد في شعر أحمد دحبور و معين بسيسو

عنى ، / قل وداعاً للسعيدة / قل وداعاً للبعيدة / قل وداعاً للطفولة و الرجال / و قل لأبسط أمهاتك : إننى أضمرت فى / هذا الوداع . . . /
« إلى اللقاء » (دحبور، ١٩٨٣م:٧٦١).

و من المميزات الأخرى فى لغة الشعر الفلسطينى، استعمال الشاعر للألفاظ العصرية، حيث تتضمن أشعارهم العديد من الألفاظ التى تسير روح العصر من ذلك استخدام لفظ «رصاص» فى قصائد «كان يكتب ثم يشطب» و «ارفعوا الأيدي عن أرض الفتاة» لمعين بسيسو : « حينما جاؤوا إليه كان يكتب / ثم يشطب / كان فى دمه يلعب ... / كان فى دمه يسبح ... / فمه برعم نار / اطلقوا عشر رصاصات عليه / و الفم البرعم فتح ... » (بسيسو، ١٩٨٧م:٦٠٩)

ثم قصيدة «ارفعوا الأيدي عن أرض الفتاة» : « أنا أكتب من أجل القناة... / بنجوم الدم تزهو فى النهار / نجمة تومض من كل رصاصة / أطلقتها من يد التل الكبير / يد فلاح شهيد » (بسيسو، ١٩٨٧م:٧٩)

و من ميزاتها الأخرى احتوائها على مضامين شعبية ، كالتراث الشعبى و العادات الاجتماعية؛ كما يشير أحمد دحبور فى قصيدة «الهاوية» من ديوان « زغردة النساء »: «
فبأى الوجهه تقابل أم الشهيد؟ ألا أستعير / غراباً ليأسى المؤقت يسأل : فيم تزغرد أم الشهيد ؟ / أنا أعلن الان وقت البكاء / يا نساء فلسطين لا جرح ان بكيتين مر البكاء» (دحبور، ١٩٨٣م:٧٢٩)

و تلك الميزة فى لغة القصيدة الفلسطينية ، نمت بذورها بعد نكبة سنة ١٩٤٨ منذ أواخر الخمسينات و بداية الستينات فى القرن الماضى (انظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م:٣٣٦) فإذا انتقلنا من المضمون اللغوى إلى الظواهر البارزة فى ألفاظ تلك اللغة فسوف نجد عدداً من الظواهر ، يمكن اجمالها فيما يلى :

اولاً: التكرار : و هو تكرار لفظة بعينها أو بعبارة ، داخل النص الشعرى أكثر من مرة لمغزى خاص او يمكن بسبب ظاهرة موسيقية ؛ من ذلك تكرار كلمة واحدة بعينها ، أو كلمات مفردة أو كلمتين مركبتين كقول الشاعر معين بسيسو : « تفاجئنى الأرض / أن أكف الصبايا / مرايا / و كف الشهيد ، بحجم السماء / تفاجئنى الأرض » (بسيسو، ١٩٨٧م:٦٦٤)

و نجد تكرار لفظ «نجمة» فى قصيدة «ارفعوا الايدي عن أرض الفتاة» لمعين بسيسو حيث قد كرر ليؤكد كرامة الشهيد و خلوده : « نجمة تومض من كل رصاصة ... / نجمة من كل نائر ... / نجمة من كل أبناء السلام . . . / نجمة من قلب عمان المجاهد . . . » (المصدر نفسه : ٨٠ - ٧٩)

و تكرار كلمة «أستغفر» في قصيدة «عرس على الطريقة الفلسطينية» لأحمد دحبور: «
أستغفر برد مخيمنا لو قلت : بكينا / أستغفر صبر الأعوام العشرين / أستغفر جيشاً مهزوماً
يلقى التبعات علينا / أستغفر أُمى . . .» (دحبور، ١٩٨٣م: ٢٠٦)

ثانياً: النبرة الغنائية في لغة الشعر الفلسطيني المعاصر و هي من الظواهر البارزة في لغة
الشعر الفلسطيني، إنها صالحة للغناء و التلحين، حيث إن العديد من تلك القصائد قد تم
تلحينها و دخلت مجال الغناء ، حيث تتردد كأغان شعبية و حماسية ؛ و من ذلك قول احمد
دحبور : « قل وداعاً للسعيدة / قل وداعاً للبعيدة / قل وداعاً للطفولة و الرجال / و قل
لأبسط امهاتك : إنني اضمرت في / هذا الوداع . . . / «إلى اللقاء» (المصدر نفسه: ٧٦١) .
و إذا انتقلنا بعد ذلك إلى ترتيب الألفاظ و الكلمات من أسماء و أفعال و حروف داخل
نصوصها الشعرية ، فسوف نجد عدداً من الوجوه اللغوية . نجد مثلاً اللغة الفاعلة التي تركز
على الفعل و الحركة و العمل داخل النص الشعري ؛ كما يقول معين بسيسو في قصيدة
«يوميات ملقن مسرح» : «... و تخرجون تصرخون / تطلبون رأس قاتله . . . » (بسيسو،
١٩٨٧م: ٣٢٨)

و قد تبدأ بالاسماء و مع ذلك تدل على الفعل و الحركة كقصيدة «صفحة من كتاب
الاعوار» لأحمد دحبور:

« لمجاهد / فرح ، في الأمر مرهون ، و أحزان صغيرة / و مجاهد / فرح النار تكتشف
الأرض الأسيرة » (دحبور، ١٩٨٣م: ٢٣٩)

و بتقديم لفظ «المجاهد» قد أكد على أهميته، و حثّ الشعب للجهاد كما يدل على الحركة
و العمل .

ثم نجد اللغة المتسائلة ، و هي التي تركز -بشكل عام- على التساؤل فنجد أيضاً من
الأسئلة داخل النصوص الشعرية التي بين أيدينا كما يقول أحمد دحبور : « فبأى الوجوه
تقابل أم الشهيد ؟ ألا أستعير / غراباً ليأسى المؤقت يسأل : فيم تزغرد أم الشهيد ؟ » (
المصدر نفسه: ٧٢٩)

و نجد اللغة المنادية التي تركز داخل مضمونها على شيء ما تناديه ، و التي عادة ما تبدأ
بحرف من حروف النداء ؛ كقول معين بسيسو: « يا أم على . . . / يا أم ثلاثة شهداء . . . / يا
أم على . . . / مازال على الحائط حجر / تكتبه شجرة ورد حمراء . . . » (بسيسو، ١٩٨٧م
: ٦٥٣)

تلك الوجوه المختلفة للغة الشعر الفلسطيني ، تحمل بين طياتها رؤى خاصة. فهي أولاً
تزيد النصوص الشعرية روعة و جمالاً ، ثانياً تضيء على النصوص عنصرى المفاجأة و
الدهشة، لا سيما حين ينتقل الشاعر من وجه إلى وجه آخر ، و ثالثاً تخلق لدى القارئ

٩٠ / صورة الشهيد في شعر أحمد دحبور و معين بسيسو

مفهوم المشاركة و خاصة عبر اللغة المتسائلة، فطرح السؤال من قبل الشاعر يحمل على إشراك المستمع أو القارئ في البحث عن إجابات لتساؤل الشاعر ، فالألفاظ تحمل بين ثناياها علاقات خاصة تربطها بغيرها من الألفاظ ، تلك العلاقات التي يخلقها الشاعر للتأكيد عليها من خلال وعيه بها(أنظر : أبوشاور، ٢٠٠٣م : ٣٤٣-٣٤٢) .

الصورة

الصورة في الشعر هي وسيلة من وسائل الشاعر ، للتعبير عما في نفسه من أحاسيس و مشاعره ، و نقل تلك الأحاسيس للقارئ من خلال إيجاد علاقة بين شيئين أو أشياء مختلفة، و قد تكون تلك الرابطة حقيقية، أو مجازية، و هي «تشكيل جمالي تستحضر فيه لغة الإبداع الهيئة الحسية أو الشعرية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تملئها قدرة الشاعر و تجربته، وفق معادلة فنية بين طرفين : هما المجاز و الحقيقة، دون أن يستبد طرف على آخر » (عباس، ١٩٨٦م:١٣٤) و هنا نبحت عن الصورة الشعرية في شعر دحبور و بسيسو.

الصورة التقليدية القديمة

و هي الصورة التي تعتمد -غالباً- على الخيال الحسى و ألوان البيان في البلاغة العربية القديمة كالتشبيه و الاستعارة و الكناية و المجاز(أنظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م:٣٤٤). و من التصوير الحسى المباشر تلك الصورة التي ينقلها الشاعر أحمد دحبور:

« نفذت كالسيف / في القلب الأخضر » (دحبور، ١٩٨٣م:٢٠٦)

و قد شبه دم الشهيد و تأثيره بسيف يؤثر في القلوب الصافية و في قصيدة «المعادلة» : «
إني أصحح : لا تعلق الأرض في شرك /يوم تصرخ كل حصة بكل شهيد : /ورائي عدو
فخذة . . . » (المصدر نفسه: ٦٢٠) يجسد الشاعر حصة في قالب انسان يصرخ و ينقل نداء
الشهيد .

و أيضاً قول معين بسيسو : « و كف الشهيد ، بحجم السماء... / و يرسم فلسطيننا المقبلة »
(بسيسو، ١٩٨٧م:٦٤٥) كناية عن تأثير الشهيد الفاعل في ترسيم مصير بلده .

و قد يلجأ الشاعر إلى المجاز لبيان ما هو قصده بروعة أكثر و تأثير أبلغ، كما يقول معين
بسيسو : « بنجوم الدم تزهو في النهار / نجمة تومض من كل رصاصة » (المصدر نفسه،
١٩٨٧م:٦٤٥) ف(نجوم الدم) هنا مجاز من الشهداء .

الصورة التقليدية الجديدة

و في السبعينات طور شعراء النكبة ملامح البلاغة القديمة ، فإذا كانت العلاقة بين المشبه و المشبه به في الصور التقليدية القديمة بوجود تقارب في تلك العلاقة، فإنها في شعر شعراء

النكبة اعتمدت على التباعد بين المشبه والمشبه به في العلاقة القائمة بينهما (انظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م: ٣٨٥)؛ كقول الشاعر احمد دحبور: « و أتى كامل / حملوه على الراحات، على أغصان الحزن الأخضر » (دحبور، ١٩٨٣م: ٢٠٤)
فقد شبه الشاعر (الحزن) إلى شجرة لها أغصان و في الحقيقة قد وظف الشاعر الإستعارة المصرحة لأنه حذف المشبه به و لا توجد علاقة بينهما .

الموسيقى

إن للموسيقى أثراً بالغاً في الخطاب الشعري لا يقل عن أثر الصور، لأنها تتلاءم مع الصورة لإيجاد بنية القصيدة و هذا الأثر الفاعل هو الذى يسبب اهتمام النقاد بالوزن الشعري من النقاد العرب القدامى والمعاصرين (انظر: على، ٢٠٠١م: ٢١٥).

يقول ابن رشيقي في تحديد ماهية الشعر «الوزن أعظم أركان حدّ الشعر و أولها به خصوصية» (القيرواني، ١٩٧٢م: ١ / ١٣٤) و العلاقة الوثيقة بين الصورة و الوزن توجب على الشاعر اتخاذ اللفظ الملائم و المنسجم موسيقياً، بحيث تكون هناك موازنة دقيقة بين الألفاظ و نغمها في تشكيل القصيدة .

و مع أن الإيقاع/ الموسيقى عنصر أساسى فى الشعر و لكنه ليس وحده سلطة تميز الشعر عن النثر، فما يميز الشعر ليس قواعد الوزن و القافية بل هناك عناصر أخرى تمنح النص اللغوى هويته الشعرية، (أنظر : على، ٢٠٠١م: ٢١٦) فالإيقاع «يتسم بحيوية نغمية موسيقية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموسيقية اللغة و تركيبها الإيقاعى من جهة، و بطبيعة التشكلات الموسيقية التى نمتها الفاعلية الفنية العربية، من جهة أخرى» (أبوديب ، ١٩٨١م: ٤٣) و مع تطور الشعر الحر بدأ الشعراء يعتمدون على التفعيلة و هى وحدة أساسية فى القصيدة، كما اعتمدوا إلى استخدام أوزان عديدة من القصيدة الواحدة، فحين تداخلت الأصوات، فى القصيدة الواحدة، لم يجد الشعراء بدأ من التعبير عنها بالإيقاعات الموسيقية المتعددة، و هكذا فإن الشاعر الحديث لم يبلغ الوزن رغبة منه فى تسجيل انسجام القصيدة مع المشاعر و اختيار الوزن الملائم معه، فصار الشاعر يتحرك نفسياً و موسيقياً وفق حركة الشعور و النفس (انظر: على ، ٢٠٠١م: ٢١٦).

و فى الموسيقى يعدّ الوزن و القافية عنصرين أساسيين، و هو ينقسم إلى الحوار الخارجى و الداخلى .

الإيقاع الخارجى

يألف الوزن فى الإيقاع الخارجى من مجموعة التفعيلات التى تتكون منها بحور الشعر العربى و هى الموسيقى التى تعتمد على وحدة البيت، بحيث يتكون البيت من شطرين

٩٢ / صورة الشهيد فى شعر أحمد دحبور و معين بسيسو

متساويين فى عدد التفعيلات ، و تتكون القصيدة من عدد من الأبيات المتساوية فى الوزن عروضياً (انظر : أبوشاور، ٢٠٠٣م:٤٠٣).

حسب دراسة قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو يبدو أن الإيقاع الخارجى لم يشمل القصائد المنشودة فى مجال الشهيد و الشهادة لهذين الشعارين.

الإيقاع الداخلى

و الإيقاع الداخلى للقصيدة حركة موقعة فى بنائها أو نسيجها، يتمثل فيما يتوافر فى النص الشعرى من وقوف داخلية ، و ضروب بديع، و حروف مد، و الإنسجام بين هذه الظواهر و بين جو القصيدة أو تجربة الشاعر النفسية .

و يرى الياس خورى أن الإيقاع الداخلى حركة بدوره ، لكن هذه الحركة تشكل فى البناء الداخلى للقصيدة و هى حركة مستترة غير مسموعة. و الموسيقى فى الشعر ليس فقط التفعيلة و أنواع تشكيلها بل أجزاء أخرى يجرى توقيع الموسيقى بها :

(١) التركيب اللغوى حينما ينتظم فى أنساق من الموازاة و التقطيع .

(٢) التكرار وفق أشكال موظفة لتأدية دلالتها .

(٣) التوزيع و التقسيم على مستوى جسم القصيدة ، بهدف دلالى محدد .

(٤) التوقيع على جرس بعض الألفاظ المعجمية و الموازاة بين حروفها « (على، ٢٠٠١م:٢٤٤).

فندرس القصائد من حيث الإيقاع الداخلى و من هذا قول معين بسيسو : « يذهب للخنديق / ضيف آخر بالبيت الشهداء / الشهداء الجدد ، على مائدة الشهداء القدماء » (بسيسو، ١٩٨٧م، ٤٣٣)

فلاحظ بساطة واضحة فى اللغة و لهجة أليفة يعبر بها الشاعر عن كثرة الشهداء و انضمام الشهداء الجدد إلى الشهداء القدماء و الإيقاع هنا ناتج عن القوافى الداخلية التى شكلت وقفات اختيارية للقارئ .

و من الظواهر البارزة التى تؤدى إلى إيجاد الإيقاع هو التكرار كما يقول احمد دحبور : « قل وداعاً للسعيدة / قل وداعاً للبعيدة / قل وداعاً للطفولة و الرجال / و قل لأبسط أمهاتك ؛ إننى اضمرت فى / هذا الوداع . . . / « إلى اللقاء » (دحبور، ١٩٨٣م:٧٤١) فيكرر الشاعر مفردات «قل وداعاً» بعينها و يشكل الإيقاع الشعرى .

كما رأينا فى السابق أن عدد التفعيلات فى أسطر الشعر الحر لا تعتمد على نظام معين ، بل تعتمد على طول نفس الشاعر و قصره و على مدى انفعال الشاعر ، فانتهاه السطر الشعرى شئ يحدده الشاعر نفسه. و من اختلاف هذه الأسطر ينتج التنسيق الداخلى للقصيدة كما

يقول معين بسيسو : « حينما جاؤوا اليه كان يكتب / ثم يشطب / كان في دمه يلعب / كان في دمه يسيح / فمه برعم نار...» (بسيسو، ١٩٨٧م:٦٠٩).
فالشعر الفلسطيني أخذ يتجه نحو الشعر الحر منذ نكبة ١٩٤٨، حيث اتجه عدد من الشعراء الفلسطينيين و منهم أحمد دحبور و معين بسيسو إلى استغلال إمكانات الشعر الحر و الاستفادة من تجارب الشعراء العرب الجدد في هذا المجال .
و بالتالي نستطيع القول إن الشعر الفلسطيني المعاصر و منه أشعار دحبور و بسيسو قد تطور موسيقياً و كانت النكبة في حد ذاتها عاملاً من عوامل التطور و مسيطرة الحركات التطويرية الأدبية التي مرت بها المنطقة العربية أدبياً بشكل عام و شعرياً بشكل خاص .

نتائج البحث

- إن قضية الشهيد قد تجلّت في قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو بكل أبعادها حيث إنهما قد اهتمتا بمضامين مختلفة من هذا الموضوع مثل: الشهيد و الوطن، خلود الشهيد، وداعه مع أهله، الشهيد و أمه و استمرار حركة الاستشهاد .
- يبدو أن قصائد دحبور و بسيسو تطورت في السبعينات و لكن قد أثرت الحداثة على قصائد دحبور بشكل مباشر و تتميز هذه الأشعار بالتجريب في الأشكال الشعرية الموزونة عندما تحافظ قصائد بسيسو على بساطتها و الخطابية التحريضية.
- موضوع الشهيد بكل مضامينه قد وظّفه أحمد دحبور أكثر من معين بسيسو و ربما يعود هذا إلى أن بسيسو كان منتبهاً إلى الماركسية فالزرعة الدينية في دحبور أقوى فتطرّقه إلى موضوع الشهيد و الشهادة أكثر من بسيسو .
- و بما أن دحبور و بسيسو من الشعراء الفلسطينيين الذين قد شاهدوا معاناة شعبهم عن قرب، فيبدو أن قصائد دحبور و بسيسو من حيث اللغة الشعرية تعدّ من القصائد التي وجد فيها كثير من الألفاظ و المصطلحات نتيجة لوقوع كارثة سنة ١٩٤٨م و تحتوى على المضامين الشعبية .
- و ربما من الظواهر البارزة المشتركة في قصائد دحبور و بسيسو هي التكرار، النبرة الغنائية، اللغة المتسائلة و اللغة المنادية و تقريباً يمكن القول إن التجدد في اللغة الشعرية في قصائد كلا الشاعرين قد حدث حسب الظروف السائدة في فلسطين، فقصائدهما محفوفة بالألفاظ و المفردات الناتجة عن الصراع.
- حسب دراسة الصورة التقليدية القديمة في القصائد نجد أن دحبور و بسيسو كليهما قد عالجا الصورة التقليدية القديمة في قصائدهما.

-و بالنسبة إلى الصورة التقليدية الجديدة يمكن أن نقول إن دحبور قد وظّفها في قصائده حيث إننا لم نحصل على هذه الظاهرة في قصائد بسيسو و ربما هذا يعود إلى أن قصائد بسيسو لم تتأثر بالحدائث، بينما أثّرت الحدائث على قصائد دحبور بشكل مباشر.
-يبدو أن هذين الشاعرين لم يتطرقا إلى الإيقاع الخارجي في قصائدهما و قد تجلّى الإيقاع الداخلي في قصائد بسيسو أكثر من قصائد دحبور .

المصادر والمراجع

- ١-الأزهري، أبو منصور.(د. ت). تهذيب اللغة، القاهرة: الدار المصرية، ج ٦،
- ٢-آذر شب، محمد علي. (د. ت). اندفاع نحو الشهادة ، طهران : وزارة الإرشاد الإسلامي .
- ٣- أبو ديب، كمال. (١٩٨١). في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، بيروت : دار العلم ، ط ٢ .
- ٤-أبو شاوور، سعدى .(٢٠٠٣). تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر ، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط ١ .
- ٥-بسيسو، معين (١٩٨٧). الأعمال الشعرية الكاملة ، بيروت ، دار العودة ، ط ٣ .
- ٦-الجبيلي، عبدالرحمن مرضى علاوى (٢٠٠٥). الشهادة و الشهيد في الشعر العربي في صدر الإسلام و العصر الأموي، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط ١،
- ٧-الجبّوسى، سلمى الخضراء (١٩٩٧). موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج ١، ط ١،
- ٨-دحبور، احمد. (١٩٨٣). الأعمال الشعرية الكاملة ، بيروت ، دار العودة .
- ٩-صدوق، را ضى . (٢٠٠٠). موسوعة شعراء فلسطين في القرن العشرين ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط ١ .
- ١٠- عباس، احسان. (٢٠٠١). اتجاهات الشعر العربى المعاصر، عمان: دار الشروق، ط ٣ .
- ١١-عباس ، احسان .(١٩٨٦). حوار فى مجلة «الاقلام» ، ٦ ، بغداد .
- ١٢-على ، ناصر(٢٠٠١). بنية القصيدة فى شعر محمود درويش ، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط ١،
- ١٣-الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب .(د. ت). القاموس المحيط، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج ١،
- ١٤-قميحة ، جابر. (٢٠٠١). أدبيات الاقصى و الدم الفلسطيني ، مركز الإعلام العربى .

- ١٥- القيرواني، ابن رشيقي (١٩٧٢). العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت : دار الجيل ، ط ١ .
- ١٦- مصطفى، خالد علي (١٩٨٦). الشعر الفلسطيني الحديث ، العراق : دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٢ .

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)
(علمی - پژوهشی)
سال چهارم دوره جدید، شماره دهم، زمستان ۱۳۹۱

سیمای شهید در شعر احمد دحبور و معین بسیسو*

رقیه رستم پور
استادیار دانشگاه الزهراء (س)
فاطمه شیرزاد
دانشجوی دوره دکتری دانشگاه الزهراء (س)

چکیده

مسأله شهید و شهادت یکی از مسائل مهمی است که ادبیات معاصر فلسطین، بویژه شعر آن کشور، پس از فاجعه ۱۹۴۸م. بدان پرداخته است؛ زیرا پس از آنکه جوانان فلسطینی وارد صحنه مبارزه شدند، موضوع مقاومت نیز وارد ادبیات از جمله شعر شد و جلوه هایی متعدد در آن نمود و بروز یافت؛ از جمله شهادت در راه وطن که از مهمترین مسائل مطرح شده در این اشعار است. جاودانه بودن شهید و تأثیر پذیری جامعه از خون او، از جمله مضامین مهم این اشعار است؛ بطوری که حفظ پرچمی که شهید برافراشته میسر نخواهد شد، مگر با ادامه راه شهید که شعرای فلسطینی بسیاری در این عرصه قلم فرسایی کردند.

«احمد دحبور» و «معین بسیسو» از جمله شعرای فلسطینی هستند که به موضوع شهید و شهادت در اشعارشان پرداخته و متون شعری خود را از این موضوع سرشار نموده اند؛ هرچند تفاوت هایی نیز میان قصایدشان به چشم می خورد. این مقاله درصدد است ضمن نگاه اجمالی به موضوع شهید در اشعار این دو شاعر، به اسلوب فنی این اشعار از ۱۹۴۸م. تا ۲۰۰۰م. بپردازد.

کلمات کلیدی

شهید، احمد دحبور، معین بسیسو، زبان شعر، تصویر پردازی، موسیقی.

* تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۰۶/۲۰ تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۱/۱۲/۲۱